عَنِيفَةً . فاشْتَدَّ غَيْظُهُ عَلَى صاحِبِهِ ، وَهُوَ يَحْسَبُهُ يَتَعَمَّدُ إِهانَتَهُ وَتَحْقِيرَهُ . وَصَرَخَ يَقُولُ حانِقًا مُغْتاظًا : « لَعَلَّكَ قَدْ جُنِنْتَ أَيُّها الْخَبِيثُ . كَيْفَ تَشُدُّ شَعْرِي هٰكَذا ؟ »

فَأَجابَهُ صاحِبُهُ ثائِرًا :

« ما أَقْدَرَكَ عَلَى الْإِساءَةِ وَالْكَذِبِ فِي وَقْتٍ واحِدٍ ! أَلَمْ تَبْدَأْ أَنْتَ بِشَدِّ شَعَرِي ! فَما بالُكَ تَكْذِبُ عَلَيَّ ؟ أَهٰكَذا تَجْزِينِي عَلَى غُفْرانِ إِساءَتِكَ ؟ أَلا تَرَى يَدَيَّ تَحْمِلانِ السَّلَّةَ ؟ فَكَيْفَ أَعْتَدِي عَلَيْكَ ؟ وَكَيْفَ أَشُدُّ شَعَرَكَ ، وَأَنا أَتَعَثَّرُ فِي هٰذا الظَّلامِ ؟ »

وَصَبَرْتُ عَلَيْهِما قَلِيلًا ، ثُمَّ عاوَدْتُ الْكَرَّةَ ، فَجَذَبْتُ شَعَرَ الْأَوَّلِ جَذْبَةً أَعْنَفَ مِنْ سابِقَتِها ، فَكادَتْ رَقَبَتُهُ تَنْخَلِعُ . . .

فاشْتَدَّ غَضَبُ اللِّصِّ . وَأَنْزَلَ السَّلَّةَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَهُوَ يَتَوَعَّدُ صاحِبَهُ صارِخًا :

« يا لَكَ مِنْ وَحْشٍ مُفْتَرِسٍ كاذِبٍ ! أَهٰكَذا تُسِيءُ إِلَيَّ مُبْتَدِئًا وَمُعَقِّبًا ، ثُمَّ تَفْتَرِي (تَكْذِبُ) عَلَيَّ مُتَجَنِّيًا مُذْنِبًا ؟ »

ثُمَّ صَفَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ صَفْعَةً شَدِيدَةً ، أَطارَتْ صَوابَهُ . فَقابَلَهُ بِمِثْلِها ، أَوْ أَشَدَّ . وَحَمِيَتِ الْمَعْرَكَةُ بَيْنَهُما ، فَراحا يَتَبادَلانِ الصَّفَعاتِ ، وَيَتَهادَيانِ

اللَّكمات . وَأُصِيبَ أَحَدُهما بِضَرْبَةٍ زَلْزَلَتْهُ ، فَجَرَى هارِبًا ، وَتبِعَهُ صاحِبُهُ لاحِقًا بِهِ .

وَلَفَّهُما سَوادُ اللَّيْلِ ، فَضَلَّ كِلاهُما عَنْ صاحِبِهِ ، وَلَمْ يَهْتَدِ إِلَى مَكانِهِ . وَهٰكَذا أَمِنْتُ شَرَّ اللِّصَّيْنِ ، فَأَسْلَمْتُ لِلْكَرَى (لِلنَّوْمِ) عَيْنَيَّ ، وَمَا زِلْتُ أُوَاصِلُ نَوْمِي مُطْمَئِنًّا وَادِعًا قَرِيرَ الْعَيْنِ ، حَتَّى طَلَعَ الصَّباحُ . فَعُدْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ بادِيَ الْفَرَحِ وَالسُّرُورِ ، مَوْفُورَ الْبَهْجَةِ وَالْحُبُورِ .

٢ — الْحَظُّ السَّعِيدُ

وَلَمْ أَكَدْ أَبْلُغُ الْبَيْتَ حَتَّى وَجَدْتُ صَدِيقِيَ الْقَدِيمَ « سَعِيدَ بْنَ أَكْثَمَ » قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ ، مُنْذُ قَلِيلٍ . وَكانَتْ مُفاجَأَةً مِنْ أَسْعَدِ الْمُفاجَآتِ ، فَقَدْ غابَ « سَعِيدٌ » عَنْ بَلَدِنا ، مُنْذُ عَشْرِ سَنَواتٍ ، وَكانَ مِنْ أَكْرَمِ مَنْ عَرَفْتُ مِنَ الرِّفاقِ فِي عُهُودِ الطُّفُولَةِ وَالصِّبا وَالشَّبابِ . وَكانَ فَرَحِي بِمَقْدَمِهِ لا يُوصَفُ . فَقَضَيْنا يَوْمًا بَهِيجًا ، كَأَيَّامِ الْأَعْيادِ . وَقَدْ أَمْتَعَنِي « سَعِيدٌ » بِفُنُونٍ مِنْ طَرائِفِهِ ، وَقَصَّ عَلَيَّ غَرائِبَ مِمَّا لَقِيَهُ فِي رِحْلَتِهِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي كُلِّلَتْ بِالنَّجاحِ . وَكانَ مِنْ أَمْتَعِ ما حَدَّثَنِي بِهِ ، مِنَ الذِّكْرَياتِ السَّعِيدَةِ ، حَدِيثُهُ عَمَّا ظَفِرَ بِهِ «سَناءُ الْمُلْكِ» مِنَ التَّوْفِيقِ الْعَظِيمِ . وَهُوَ مِنْ أَكْرَمِ مَنْ أَنْجَبَتْهُ «الْكُوفَةُ» ، وَقَدْ نَعِمْنا بِصَداقَتِهِ ، فِي زَمَنِ الطُّفُولَةِ . وَكانَ مَعْرُوفًا بَيْنَنا بِرَجاحَةِ الْعَقْلِ ، وَأَصالَةِ الرَّأْيِ ، وَصِدْقِ الْكَلِمَةِ ، وَعُلُوِّ الْهِمَّةِ . فَلَمْ يُدْهِشْنِي أَنْ تُكْسِبَهُ تِلْكَ الْمَزايا الْعالِيَةُ ثِقَةَ السُّلْطانِ ، وَتُؤَهِّلَهُ لِمَنْصِبِ الْوِزارَةِ فِي أَقْصَرِ زَمانٍ .

وَقَدْ حَدَّثَنِي « سَعِيدٌ » ، فِيما حَدَّثَنِي بِهِ ، أَنَّهُ دُعِيَ إِلَى حَفْلٍ شائِقٍ ، أَقامَهُ

السُّلْطانُ فِي قَصْرِهِ لَيْلَةَ العِيدِ ، وَشَهِدَهُ صَفْوَةٌ مُخْتارَةٌ مِنْ كِبارِ ساسَتِهِ ، وَرِجالِ حاشِيَتِهِ . وَظَلُّوا يَسْمُرُونَ إِلَى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ . وَقَدِ انْتَهَزَ الْوَزِيرُ « سَناءُ الْمُلْكِ » تِلْكَ الْمُناسَبَةَ الْكَرِيمَةَ ، فَراحَ يَقُصُّ عَلَى السُّلْطانِ طائِفَةً مِنْ أَخْبارِي وَطَرائِفِي . فَقُلْتُ لِسَعِيدٍ : « إِنَّ وَفاءَ هٰذا الصَّدِيقِ الْكَرِيمِ مَعْرُوفٌ لِكُلِّ مَنْ أَسْعَدَهُ اللهُ بِصُحْبَتِهِ . فَلَيْسَ بِمُسْتَكْثَرٍ عَلَيْهِ ، وَلا مُسْتَغْرَبٍ مِنْهُ ، أَنْ يَفِيَ لِصَدِيقِ طُفُولَتِهِ ، وَأَنْ يَخْلَعَ فَضائِلَهُ عَلَيْهِ ، وَيَنْعَتَهُ (يَصِفَهُ) عِنْدَ السُّلْطانِ ، بِأَحْسَنِ ما فِيهِ مِنَ الصِّفاتِ . »

فَقالَ « سَعِيدٌ » : « صَدَقْتَ يا « أَبا الْغُصْنِ » ، وَلَقَدْ أَتاحَ لِي « سَناءُ الْمُلْكِ » فُرْصَةً لِلاشْتِراكِ فِي الْحَدِيثِ عَنْكَ . فَحَضَرَتْنِي أُطْرُوفَةٌ مِنْ بَدائِعِكَ . فَقَصَصْتُها عَلَى السُّلْطانِ ، فَابْتَهَجَ بِسَماعِها ، وَتَفَتَّحَتْ لَها نَفْسُهُ ، لِما تَنْطَوِي عَلَيْهِ مِنْ بارِعِ الْفُكاهَةِ ، وَرائِعِ الْمَغْزَى » . فَقُلْتُ لِسَعِيدٍ : « أَيَّ قِصَّةٍ اخْتَرْتَ ؟ » فَقالَ : « ذَكَرْتُ لَهُ قِصَّتَكَ مَعَ والِي الْكُوفَةِ » فَقُلْتُ : « أَيَّ قِصَّةٍ عَنَيْتَ ؟ فَما أَكْثَرَ الْقِصَصَ الَّتِي وَقَعَتْ لِي مَعَ وُلاةِ الْكُوفَةِ ؟ »

فَقالَ : « حَضَرَتْنِي قِصَّةُ الْحَظِّ السَّعِيدِ ، فَكانَتْ اخْتِيارًا مُوَفَّقًا . وَقَدْ فُتِنَ بِها السُّلْطانُ ، واشْتَدَّ شَوْقُهُ إِلَى لِقائِكَ . - وَقَدْ نَدَبَنِي - فِي الْيَوْمِ التَّالِي - لِدَعْوَتِكَ إِلَى زِيارَتِهِ ، وَبَعَثَ مَعِي أَلْفَ دِينارٍ ، دَلِيلَ إِعْجابِهِ بِكَ ، وَرِضائِهِ عَنْكَ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ سَيَعْهَدُ إِلَيْكَ بِأَمْرٍ خَطِيرٍ . وَأَنَّهُ أَعَدَّ لَكَ مُكافَأَةً عَظِيمَةً ، إِذا كُلِّلَ سَعْيُكَ بِالنَّجاحِ فِيهِ . وَلَسْتُ أَدْرِي ماذا أَعَدَّهُ لَكَ ، فَقَدْ كَتَمَ ذٰلِكَ عَنَّا ، وَاسْتَأْثَرَ بِهِ دُونَنا ، فَلَمْ يُفْضِ بِشَيْءٍ إِلَى أَحَدٍ . فَقُلْتُ

لِسَعِيدٍ: «ما أَسْعَدَنِي بِرُؤْيَةِ السُّلْطانِ، وَتَلْبِيَةِ إِشارَتِهِ، وَتَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ.»

ثُمَّ أَعْدَدْتُ الْعُدَّةَ لِلسَّفَرِ مَعَ صَدِيقِي «سَعِيد». وَما كادَتْ تَطْلُعُ شَمْسُ الْغَدِ حَتَّى غادَرْنا «الْكُوفَةَ»، وَما زِلْنا نُواصِلُ السَّيْرَ أَسابِيعَ ثَلاثَةً، حَتَّى بَلَغْنا حاضِرَةَ مُلْكِهِ. وَكانَ فَرَحِي بِلِقاءِ الْوَزِيرِ «سَناءِ الْمُلْكِ» فَرَحًا عَظِيمًا، يَجِلُّ عَنِ الْوَصْفِ.

وَلَعَلَّكَ — يا وَلَدِي — قَدِ اشْتَقْتَ إِلَي سَماعِ قِصَّةِ الْحَظِّ السَّعِيدِ. وَما أَجْدَرَكَ بِسَماعِها، لِلتَّفَكُّهِ بِها، وَالانْتِفاعِ بِما تَحْوِيهِ مِنْ عِظاتٍ وَعِبَرٍ.

وَإِلَيْكَ - أَيُّها الْقارِئُ الْكَرِيمُ - يُساقُ الْكَلامُ:

كانَ والِي الْكُوفَةِ «طاهِرُ بْنُ عِمْرانَ» مُولَعًا بِالصَّيْدِ فِي أَوَّلِ شَبابِهِ، بِقَدْرِ ما هُوَ مُولَعٌ بِتَصْدِيقِ ما سَمِعَهُ فِي طُفُولَتِهِ، مِنْ كاذِبِ الْخُرافاتِ، وَباطِلِ الْأَوْهامِ، وَلَمْ يَكُنْ يَشِينُهُ (يَعِيبُهُ) غَيْرُ هٰذا. وَطالَما نَصَحَ لَهُ النَّاصِحُونَ، وَبَيَّنُوا لَهُ فَسادَ ما يَتَوَهَّمُهُ الْمُتَطَيِّرُونَ (الْمُتَشائِمُونَ) مِنْ تَوَقُّعِ الشَّرِّ، كُلَّما طَرَقَ أَسْماعَهُمْ نَعِيبُ بُومَةٍ. أَوْ نَعِيقُ غُرابٍ. وَطالَما ضَرَبْتُ الْأَمْثالَ لِلْوالِي، لِأُقْنِعَهُ بِخَطَإِ هٰذا الْوَهْمِ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ إِلَى نُصْحِي. وَرُبَّما ضَجِرَ بِي، فَتَظاهَرَ

بالاقتناعِ ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ عادَ إلى تَطَيُّرِهِ (تَشاؤُمِهِ) ، مَتَى رَأَى فِى طَرِيقِهِ أَرْنبًا أَوْ بُومَةً ، أَوْ بَصُرَ بِأَحَدٍ مِنْ ذَوِى الْعاهاتِ ، أَوْ سَمِعَ صَوْتَ عابِرِ سَبِيلٍ ، يُنادِى صاحِبًا لَهُ بِاسْمٍ لا يَرُوقُهُ ، أَوْ لَقَبٍ لا يُعْجِبُهُ ، أَوْ يَنْطِقُ بِكَلِمَةٍ تُشْعِرُ بِالْخَيْبَةِ وَالْإِخْفاقِ . وَطالَما رَأَى فِى ذٰلِكَ نَذِيرًا بِالشَّرِّ ، فانْقَبَضَ لَهُ صَدْرُهُ ، وامْتَلأَ مِنْهُ قَلْبُهُ خَوْفًا ، وَراحَ يَتَوَقَّعُ الْأَذَى : بَيْنَ لَحْظَةٍ وَأُخْرَى .

وَقَدْ صَحِبَنِى الْوالِى إِلَى الْغابَةِ ، ذاتَ يَوْمٍ . وَلَمْ نَكَدْ نَقْتَرِبُ مِنْها حَتَّى مَرَّ أَمامَهُ أَرْنَبٌ يَجْرِى . فَتَطَيَّرَ الْوالِى (تَشاءَمَ) بِرُؤْيَتِهِ ، وَأَيْقَنَ أَنَّ سَعْيَهُ مُخْفِقٌ (خائِبٌ) فِى هٰذا الْيَوْمِ ، وَأَصَرَّ عَلَى الرُّجُوعِ مِنْ حَيْثُ أَتَى ، حَتَّى لا يُصِيبَهُ مَكْرُوهٌ . وَبَذَلْتُ جُهْدِى فِى إِقْناعِهِ بِخَطَإِ ما تَوَهَّمَهُ فَلَمْ أُفْلِحْ .

وَخَرَجْنا - فِى الْيَوْمِ التَّالِى - فَسَمِعَ صاحِبِى نَعِيبَ غُرابٍ ، فَتَطَيَّرَ بِهِ ، كَما تَطَيَّرَ بِالْأَرْنَبِ أَمْسِ . وَخَرَجْنا فِى الْيَوْمِ الثَّالِثِ ، فَرَأَيْنا - فِى طَرِيقِنا - ذِئْبًا ضارِيًا (مُفْتَرِسًا) ، فَدَبَّ الْخَوْفُ إِلَى قَلْبِى ، وَخَشِيتُ أَنْ يُصِيبَنا مِنْهُ أَذًى . فَقُلْتُ لِصاحِبِى : « الْآنَ ، وَجَبَ عَلَيْنا أَنْ نَرْجِعَ ، حَتَّى لا نَتَعَرَّضَ لِأَذِيَّةِ هٰذا الْمُفْتَرِسِ الضَّارِى . وَرُبَّما كانَ ظُهُورُهُ - فِى هٰذا الْمَكانِ - إِيذانًا بِوُجُودِ غَيْرِهِ مِنَ الذِّئابِ . وَمِنَ الْحَزْمِ أَنْ نَعْتَبِرَ بِما رَأَيْنا ، وَنَعُودَ إِلَى الْمَدِينَةِ سالِمِينَ . »

فابْتَسَمَ الْوالِى ساخِرًا مِمَّا سَمِعَ ، وَراحَ يُقَلِّلُ مِنْ خَطَرِ الذِّئْبِ ، وَيُهَوِّنُ مِنْ شَأْنِهِ ، زاعِمًا أَنَّ الذِّئْبَ لا يَعْتَرِضُ صَيَّادًا فِى طَرِيقِهِ إِلَى الصَّيْدِ ، إِلَّا كانَ ذٰلِكَ بَشِيرًا بِما يَنْتَظِرُهُ الصَّيَّادُ مِنْ حَظٍّ سَعِيدٍ .

وَحاوَلْتُ أَنْ أُرْجِعَهُ عَنْ مُواصَلَةِ السَّيْرِ ، تَفادِيًا مِنَ الْخَطَرِ ، وَبَذَلْتُ

جُهْدِى لِأُقْنِعَهُ بِفَسادِ هٰذا الزَّعْمِ ، وَخَطإِ تِلْكَ الْخُرافَةِ ، فَلَمْ أَجِدْ مِنْهُ سَمِيعاً .

فَعَجِبْتُ لِهٰذا الرَّجُلِ ، يَخافُ الْأَرْنَبَ ، وَيَجْزَعُ مِنْ نَعِيقِ الْغُرابِ ، وَيَرْتاعُ لِنَعِيبِ الْبُومَةِ ، وما إِلَى ذٰلِكَ مِمَّا لا يُخِيفُ وَلا يُؤْذِى . فَإِذا لاحَ لَهُ الْخَطَرُ الْمُحَقَّقُ اسْتَهانَ بِهِ ، وَقَلَّلَ مِنْ أَمْرِهِ .

وَأَرادَ اللهُ أَنْ يَكْشِفَ لِلْوالِى خَطَأَ ما تَوَهَّمَهُ ، وَيُثْبِتَ لَهُ صِدْقَ ماحَذَّرْتُهُ مِنْهُ . فَلَمْ نَكَدْ نَسِيرُ فِى الْغابَةِ خُطُواتٍ قَلِيلَةً ، حَتَّى سَمِعْنا صَهِيلَ الْحِصانِ ، وهُوَ يَصْرُخُ صَرَخاتٍ مُؤْلِمَةً تَكادُ تُصِمُّ الآذانَ .

وكانَ الْوالِى قَدْ رَبَطَ حِصانَهُ إِلَى بَعْضِ أَشْجارِ الْغابَةِ . فَلَمْ نَكَدْ نُوَلِّيهِ ظُهُورَنا حَتى دَهِمَهُ الذِّئْبُ . وَأَسْرَعْنا إلى الْحِصانِ لِنُنْقِذَهُ ، فَرَأَيْنا الذِّئْبَ ، وَهُوَ يُمَزِّقُ لَحْمَهُ ، وَيَأْكُلُهُ ، وَيَلَغُ فِى دَمِهِ (يَشْرَبُهُ بِأَطْرافِ لِسانِهِ) .

فَلَمْ أَتَمالَكْ أَنْ قُلْتُ لِلْوالِى مُتَهَكِّماً : « الآنَ صَحَّ ما حَدَّثَكَ بِهِ الْأُمَناءُ الصَّادِقُونَ . وَهأَنذا أُومِنُ بِرَأْيِكَ ، بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُ الْحَظَّ السَّعِيدَ وَهُوَ يَأْكُلُ جَوادَكَ ! »

فَكانَ هٰذا أَنْفَعَ دَرْسٍ لَقِيَهُ الْوالِى ، فَلَمْ يَعُدْ يُصْغِى بَعْدَ هٰذا الْيَوْمِ - إِلَى كاذِبِ مايَسْمَعُهُ مِنَ الْخُرافاتِ ، وخادِعِ ما يَتَناقَلُهُ الْحَمْقَى مِنَ التُّرَّهاتِ (الْأَباطِيلِ) .

٣ — الْقِراءَةُ النَّاهِقَةُ

والآنَ - بَعْدَأَنِ انْتَهَيْتُ مِنْ قِصَّةِ الْحَظِّ السَّعِيدِ - أَعُودُ بِالْقارِئِ إِلَى ما بَدَأْتُهُ مِنْ حَدِيثٍ ، فَأَقُولُ : إِنَّنِى - بَعْدَ أَنْ بَلَغْتُ حاضِرَةَ السُّلْطانِ ، فَرِحَ « سَناءُ الْمُلْكِ » بِلِقائِى فَرَحًا لا يَعْدِلُهُ إِلَّا فَرَحِى بِلِقائِهِ . وقَدْ أَقْبَلَ عَلَيَّ السُّلْطانُ أَيَّما إِقْبالٍ ، وَرَحَّبَ بِى أَيَّما تَرْحِيبٍ ،

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِنا المَقامُ، الْتَفَتَ إِلَيَّ باسِمًا، وقالَ: «أَتَعْرِفُ لِمَ دَعَوْتُكَ، يا أَبا الْغُصْنِ؟» فَقُلْتُ: «لا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ!»

فَقالَ: «لَقَدِ اجْتَمَعَ رَأْيِي وَرَأْيُ «سَناءِ الْمُلْكِ»، عَلَى أَنْ نَأْتَمِرَ بِكَ، وَنَمْتَحِنَ ذَكاءَكَ. وَجَعَلْنا لَكَ مُكافَأَةً عَظِيمَةً، إِذا نَجَحْتَ فِي الِامْتِحانِ، هِيَ عَشَرَةُ آلافِ دِينارٍ. فَكَيْفَ تَقُولُ؟» فَقُلْتُ لَهُ: «لَيْسَ لِي أُمْنِيَّةٌ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوَفِّقَنِيَ اللهُ إِلَى تَحْقِيقِ رَغْبَةِ مَوْلايَ السُّلْطانِ.» فَقالَ: «لَقَدْ أَهْدَى إِلَيَّ بَعْضُ الْأُمَراءِ حِمارًا ظَرِيفًا، لَمْ أَرَ لَهُ مَثِيلًا، فِي كُلِّ ما شَهِدْتُ مِنَ الْحَمِيرِ. وَلَوْ جازَ لِلْحَمِيرِ أَنْ تَخْتارَ لَها رَئِيسًا تَدِينُ لَهُ بِالْوَلاءِ وَالْإِخْلاصِ، لَما اخْتارَتْ غَيْرَهُ، وَلا رَضِيَتْ بِهِ بَدِيلًا. وَقَدْ رَأَى «سَناءُ الْمُلْكِ» مِثْلَ رَأْيِي فِي هٰذا الْحِمارِ الذَّكِيِّ الْواعِدِ، إِذا ظَفِرَ بِالْمُدَرِّسِ الْحاذِقِ الْبارِعِ. وَاجْتَمَعَ الرَّأْيُ عَلَى أَنْ نَعْهَدَ إِلَيْكَ بِحِمارِ الْأَمِيرِ، لَعَلَّهُ يَتَعَلَّمُ الْقِراءَةَ عَلَى يَدَيْكَ» فَقُلْتُ لِلسُّلْطانِ مُتَعَجِّبًا: «وَهَلْ تُجْدِي بَراعَةُ الْمُدَرِّسِ فِي تَعْلِيمِ الْحِمارِ؟»

فَقالَ لِي باسِمًا: «إِنَّ حِمارَ الْأَمِيرِ، لا مَثِيلَ لَهُ فِي ذَكائِهِ بَيْنَ الْحَمِيرِ، وَأَنْتَ يا «أَبا الْغُصْنِ» بارِعٌ لا مَثِيلَ لَكَ فِي بَراعَتِكَ بَيْنَ النَّاسِ. وَما أَجْدَرَكَ بِأَنْ تَنْجَحَ فِي تَعْلِيمِهِ الْقِراءَةَ، فَتَنالَ عَشَرَةَ آلافِ دِينارٍ، مُكافَأَةً لَكَ!»

وَسُرْعانَ ما خَطَرَتْ لِي فِكْرَةٌ مُوَفَّقَةٌ، أَنارَتْ لِي سَبِيلَ النَّجاحِ، وَفَتَحَتْ لِي بابًا لِلْخُرُوجِ مِنْ هٰذا الْمَأْزِقِ. فَقُلْتُ لِلسُّلْطانِ: «إِنْ أَمْهَلَنِي مَوْلايَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، وَحالَفَنِي تَوْفِيقُ اللهِ، لَمْ أَيْأَسْ مِنْ بُلُوغِ هٰذِهِ النَّتِيجَةِ.»
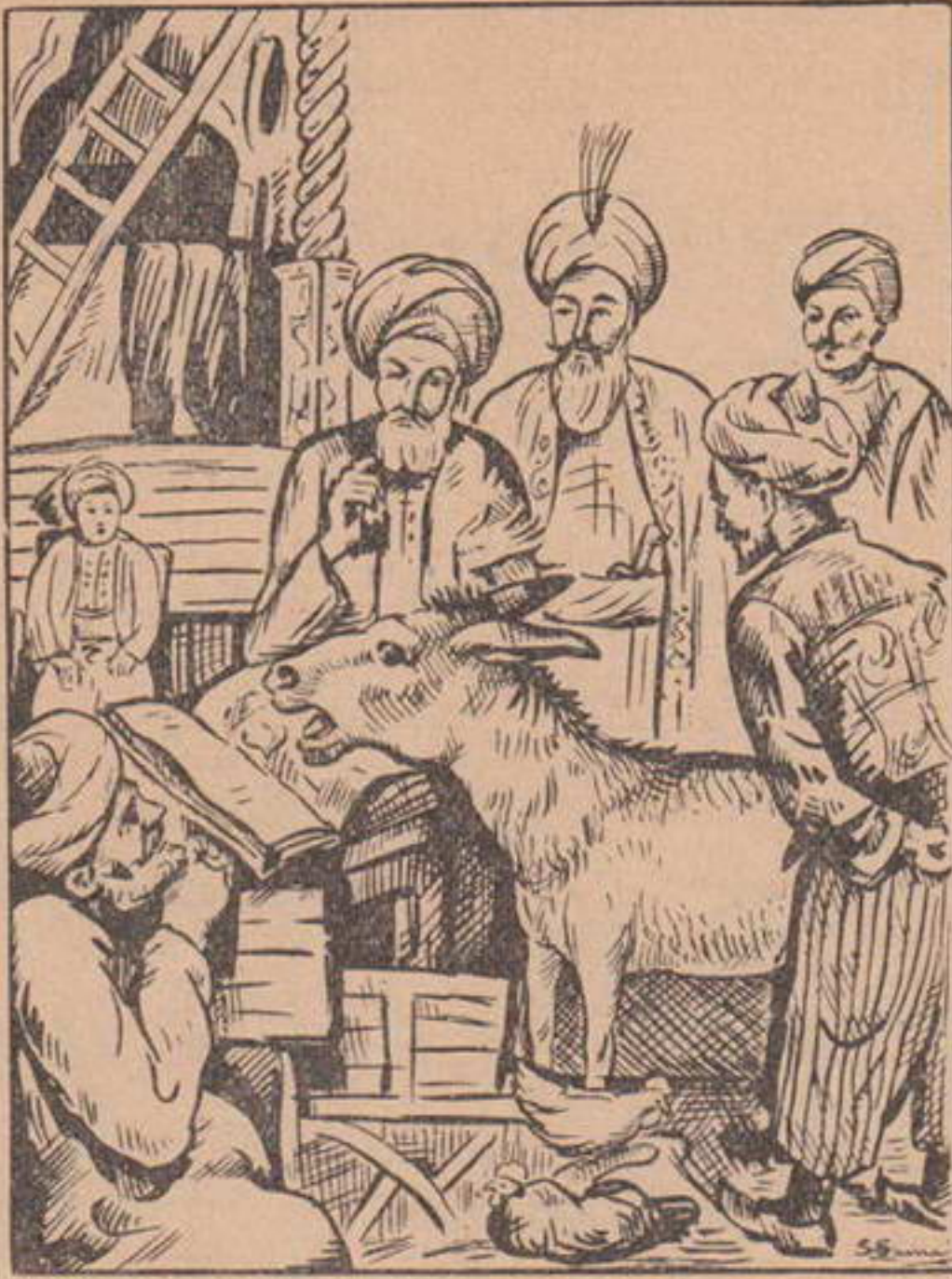
فتهلّلَ وجهُ السُّلْطانِ بِشْرًا وإيناسًا . وَأَمْهَلنى سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، فعكفتُ على تَحْقيقِ رَغْبتِهِ ، سالِكاً فى تَعْلِيمِ الْحِمارِ طَرِيقَةً مُبْتَكَرَةً فَرِيدَةً ، انْتهتْ بالنَّجاح .

وَلمَّا حانَ مَوْعِدُ الامْتِحانِ ، وأُعِدَّ الْمِهْرَجانُ ، وَاجْتمعَ الْمَدْعُوُّونَ مِنْ كُلِّ مَكانٍ ، أَدْنَيْتُ - مِنَ الْحِمارِ - الْكُرْسِيَّ الَّذى أَعْدَدْتُهُ لِمِثْلِ هٰذا الْيَوْمِ ، وَوَضَعْتُ عليهِ دفْتَرًا كَبيرًا يَحْتَوِى مِائَةَ صَحِيفَةٍ مِنْ رَقِّ الْغَزالِ ، مُجَلَّدًا أَفْخَرَ تَجْلِيد . وما كادَ الْحِمارُ يَرَى الدَّفْتَرَ حَتَّى أَسْرَعَ إليْهِ يُقَلِّبُهُ بِلِسانِهِ ، وَرَقَةً بعْدَ أُخْرَى ، حَتَّى أَتَمَّ تَقْلِيبَ أَوْراقِهِ كُلِّها . ثُمَّ الْتَفَتَ الْحِمارُ إِلَيَّ ، وَقَدْ بَدا الْحُزْنُ وَالْأَلَمُ عَلَى سَحْنَتِهِ ، وَظَلَّ يَنْهَقُ نَهِيقًا عالِيًا مُتَّصِلًا . فَلَمْ يَتَمالَكِ السُّلْطانُ وَالْحاضِرُونَ أَنْ يُغْرِقُوا فِى الضَّحِكِ ، إِعْجابًا بِهٰذِهِ الْحِيلَةِ الْمُبْتَكَرَةِ .

وَسَأَلَنِى السُّلْطانُ مَدْهُوشًا : «أَيَّ الْأَسالِيبِ سَلَكْتَ فِي تَعْلِيمِ حِمارِ الْأَمِيرِ ؟ »

فَقُلْتُ : « لَمْ أَجِدْ لِتَعْلِيمِهِ الْقِراءَةَ إِلَّا وَسِيلَةً واحِدَةً ، هِيَ أَنْ أَضَعَ لَهُ الطَّعامَ بَيْنَ طَيَّاتِ هٰذا الدَّفْتَرِ ، فَلا يَجِدَ غِذاءَهُ فِي غَيْرِهِ . فَقَدْ كُنْتُ أَضَعُ - فِى أَثْناءِ صَفَحاتِهِ - ما يُشْبِعُهُ مِنَ الْفُولِ والشَّعِيرِ ، وَأُقَلِّبُهُ بِيَدِى صَفْحَةً بَعْدَ أُخْرَى . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَلِفَ ذٰلِكَ وَتَعَوَّدَهُ عَلَى مَرِّ الأَيَّامِ . واسْتَغْنَى عَنْ مُساعَدَتِى إِيَّاهُ ، وَأَصْبَحَ يَذْهَبُ إِلَي الدَّفْتَرِ - كُلَّما جاعَ - فَيَفْتَحُهُ

وَيُقَلِّبُ صَفَحَاتِهِ وَيَأْكُلُ مَا تَحْتَوِيهِ حَتَّى يَشْبَعَ . وَكَانَ طَبْعُهُ الْحِمَارِيُّ يُنْسِيهِ ذَلِكَ الدَّرْسَ فِي الأَيَّامِ الأُولَى ، فَلَا أُقَصِّرُ عَنْ تَذْكِيرِهِ بِهِ . وَكُنْتُ أَتَعَمَّدُ فِي بَعْضِ الأَيَّامِ أَنْ أَتْرُكَ لَهُ الدَّفْتَرَ خَالِيًا مِنَ الْفُولِ وَالشَّعِيرِ ، فَيَدْفَعَهُ الْجُوعُ إِلَى النَّهِيقِ لِيُذَكِّرَنِي بِنَفْسِهِ . فَلَمَّا حَانَ وَقْتُ الامْتِحَانِ ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ إِلَّا يَوْمَانِ ، تَرَكْتُهُ بِلَا طَعَامٍ . فَلَمَّا رَأَى الدَّفْتَرَ أَسْرَعَ إِلَيْهِ - كَمَا رَأَيْتَ يَا مَوْلَايَ - وَرَاحَ يُقَلِّبُ صَفَحَاتِهِ ، وَاحِدَةً بَعْدَ الأُخْرَى ، لَعَلَّهُ يَجِدُ فِيهَا مَا يَسُدُّ جُوعَهُ . فَلَمَّا انْتَهَى مِنْ تَقْلِيبِ الْكِتَابِ عَلَى غَيْرِ طَائِلٍ ، لَمْ يَجِدْ وَسِيلَةً يُعَبِّرُ بِهَا عَنْ أَلَمِهِ وَشَكْوَاهُ غَيْرَ النَّهِيقِ ، وَهُوَ لُغَةُ الْحَمِيرِ ، الَّتِي لَا تُحْسِنُ غَيْرَهَا مِنَ اللُّغَاتِ . »

فَابْتَهَجَ السُّلْطَانُ بِمَا رَآهُ ، وَكَافَأَنِي أَجْزَلَ مُكَافَأَةٍ ، وَمَنَحَنِي عَشَرَةَ آلَافٍ مِنَ الدَّنَانِيرِ ، وَاحْتَفَظَ بِالدَّفْتَرِ بَعْدَ أَنْ كَتَبَ فِيهِ تِلْكَ الْقِصَّةَ الطَّرِيفَةَ - كَمَا حَدَثَتْ - ثُمَّ وَقَّعَ فِي آخِرِ الْكِتَابِ بِالتَّوْقِيعِ التَّالِي :

«إِنَّ فِي شَأْنِ هٰذَا الْحِمَارِ لَعِبْرَةً مِنْ عِبَرِ الْحَيَاةِ ، فَكَمْ لَهُ - فِي النَّاسِ - مِنْ أَشْبَاهٍ . أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ هٰذَا الْحِمَارِ الْقَارِئِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ مِنَ الْغَافِلِينَ الَّذِينَ يَقْضُونَ أَعْمَارَهُمْ فِي تَقْلِيبِ أَوْرَاقِ الْكُتُبِ ، دُونَ أَنْ يَفْقَهُوا حَدِيثًا أَوْ يَنْتَفِعُوا بِقَوْلٍ» ؟

القصة التالية

جُحَا فِي بِلَادِ الْجِنِّ

كامل كيلاني

جُحا
فِي بِلادِ الجِنّ

١ - مِصباحُ الكهفِ ٢ - الأشقياء

دار مكتبة الأطفال

أمير العفاريت

طبع الغلاف بدار النيل للطباعة
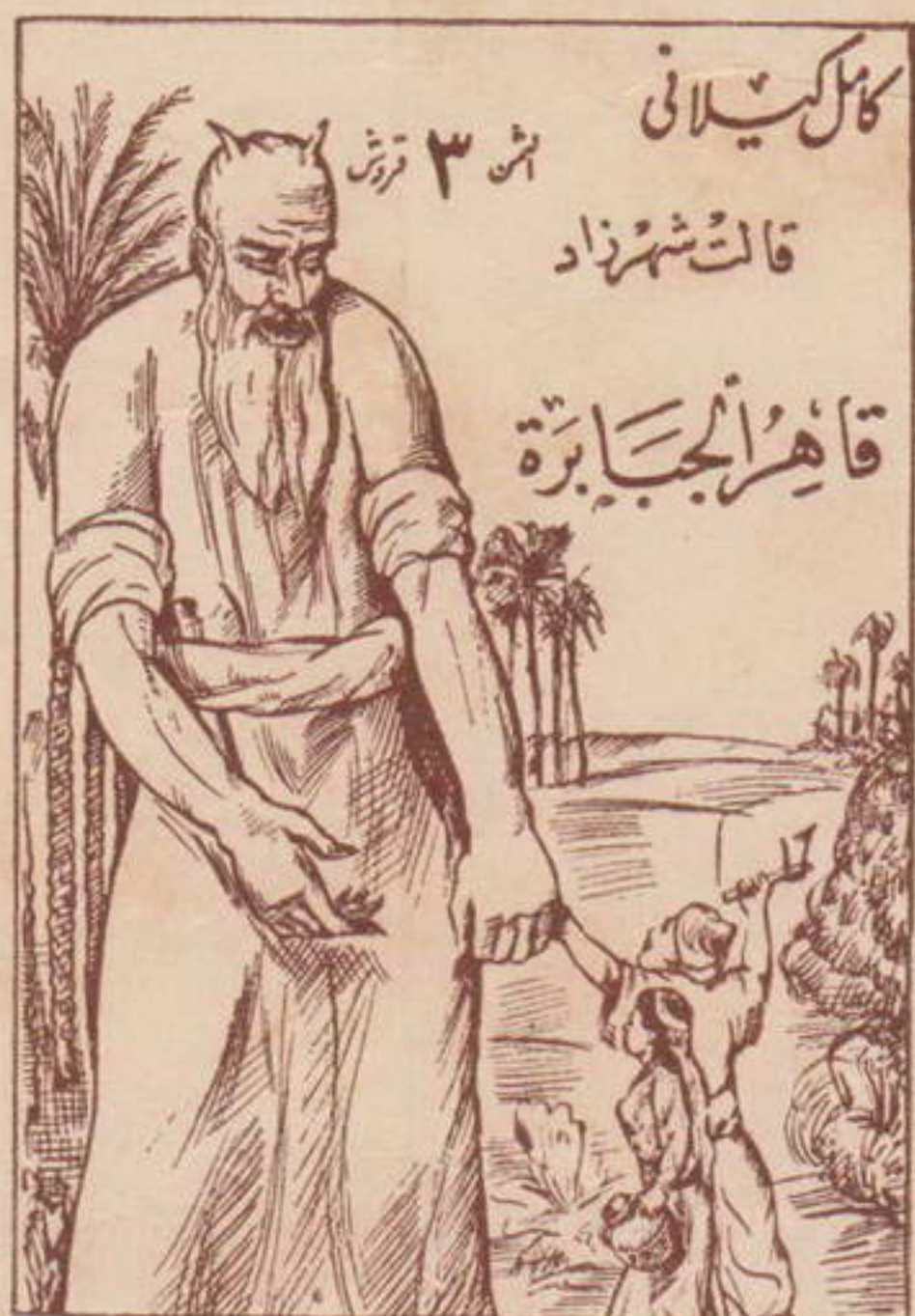
جحا قال... يا أطفال
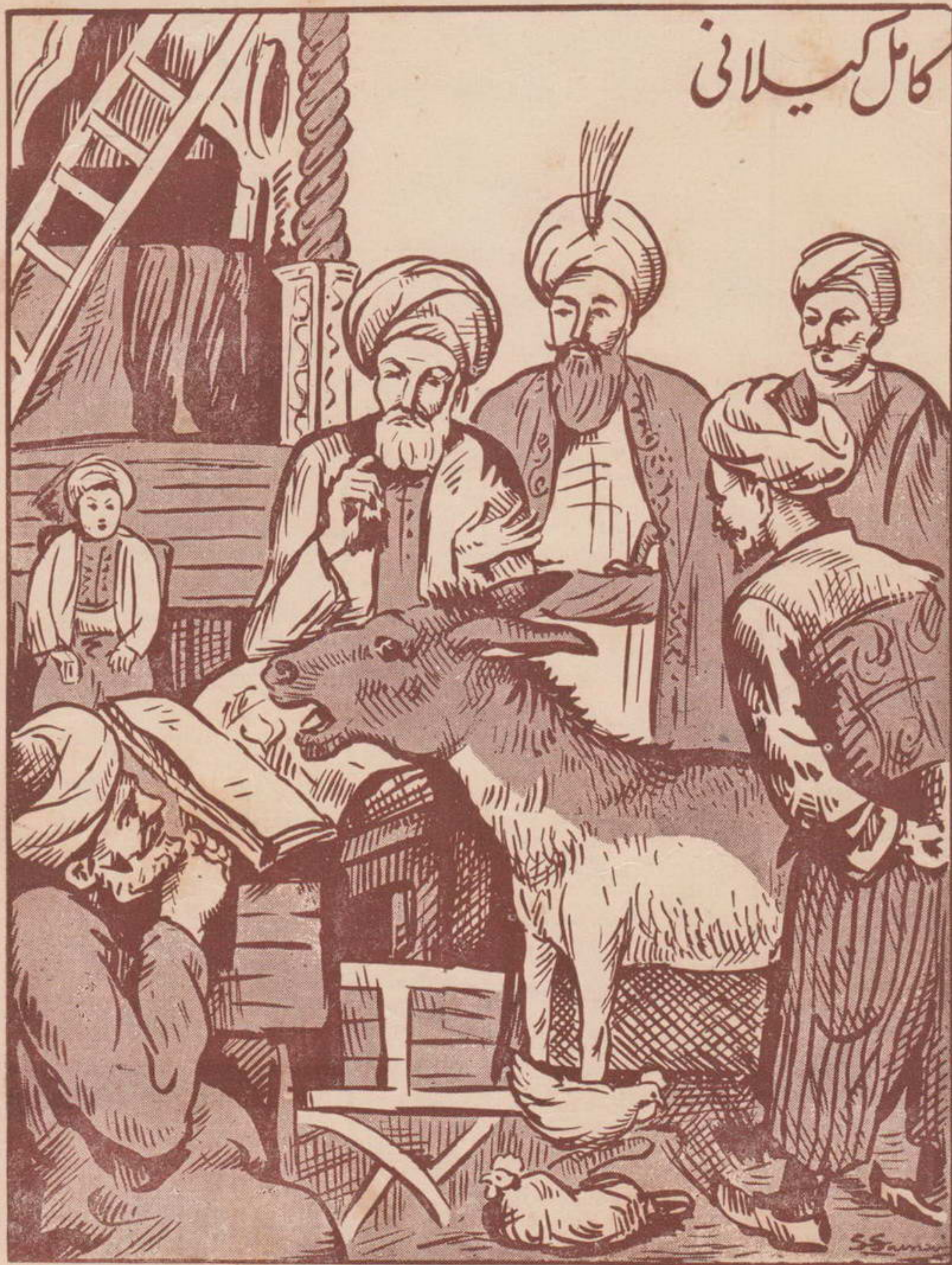
الحمار القارئ

عن دار مكتبة الأطفال
القاهرة شارع حسن الأكبر ٣٢ تيفون ٥٠٨١٨

الثمن ١ ص

مكتبة الكيلانى للأطفال

مجموعات كاملة تتدرج بقارئها من السنة الأولى الابتدائية إلى الرابعة الثانوية

ظهر حديثاً

	ص
الأرنب والصياد	١
عجائب القصص	
أرنب فى القمر :	
١ — ساكن القمر	٣
٢ — سفيرة القمر	
السعيد حسن	٣
قالت شهر زاد :	
بنت الوزير	٣
أمير العفاريت	٣
قاهر الجبابرة	٣
كنز الشمردل :	
١ — السمكتان الحمراوان	٣
٢ — فاتح الكنز	

	ص
جحا قال :	
الحمار القارئ	١
وزة السلطان :	
١ — ألف الدينار	
٢ — الوزة الذهبية	٥
٣ — الكاذب الحادى عشر	
سوق الشطار :	
١ — البرميلان	
٢ — جاذب الكرسى	
٣ — منبه الحظ	٥
٤ — قصص الشطار	
٥ — عجائب الطريق	
جحا فى بلاد الجن :	
١ — مصباح الكهف	
٢ — الأشقياء	

يظهر قريباً : صانع الأعاجيب

دار مكتبة الأطفال
القاهرة ٣٢ شارع حسن الأكبر ت ٥٠٨١٨

كامل كيلانى

مجاقال ... يا أطفال

الحِمَارُ القَارِئُ

الطبعـــة الأولى

١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م

دار مكتبة الأطفال
القاهرة ٣٢ شارع حسن الأكبر ت ٥٠٨١٨

مطبعة حجازى بالقاهرة

١ — لَيْلَةُ الْمِهْرَجانِ

« ذَهَبْتُ — فِي بَعْضِ أَيَّامِ الْأَعْيادِ — إِلَى مِهْرَجانٍ حاشِدٍ ، أقامَهُ الْأَهْلُونَ ، عَلَى مَسافَةٍ غَيْرِ بَعِيدَةٍ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَقَضَيْتُ طُولَ يَوْمِي ، وَشَطْرًا كَبِيرًا مِنْ لَيْلِي ، فِي ابْتِهاجٍ وَمَرَحٍ . وَلَمْ يَكَدِ الْمِهْرَجانُ يَنْفَضُّ ، حَتَّى اسْتَوْلَى عَلَيَّ الْإِعْياءُ (الْكَلالُ وَالتَّعَبُ) ، وَغَلَبَنِي النَّوْمُ عَلَى أَمْرِي ، فَلَمْ أَسْتَطِعِ الْعَوْدَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ . وَبَحَثْتُ عَنْ مَكانٍ أَمِينٍ أَنامُ فِيهِ . فَرَأَيْتُ سِلالًا كَبِيرَةً خَلْفَ بَعْضِ الدُّورِ ، أَعَدَّها أَصْحابُها لِوَضْعِ عَسَلِ النَّحْلِ فِيها . وَأَدْرَكْتُ أَنَّ أَهْلَ الْحَيِّ قَدْ نامُوا ، وَعَلَى ذٰلِكَ ، لَنْ يَفْطُنَ إِلَى وُجُودِي أَحَدٌ ، إِذا نِمْتُ فِي إِحْدَى هٰذِهِ السِّلالِ ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ ، وَلَنْ يُزْعِجَنِي أَحَدٌ بِالسُّؤالِ عَنْ سَبَبِ وُجُودِي . وَاخْتَرْتُ سَلَّةً كَبِيرَةً مِنْ بَيْنِها ، وَأَنا أَقُولُ فِي نَفْسِي :

« فِي هٰذِهِ السَّلَّةِ يَسْتَطِيعُ « جُحا » أَنْ يَنامَ ، دُونَ أَنْ يُعَرِّضَ نَفْسَهُ لِعِتابٍ أَوْ مَلامٍ . »

ثُمَّ دَخَلْتُ السَّلَّةَ ، وَقَدْ بَرَّحَ بِيَ التَّعَبُ ، فَأَسْلَمْتُ جَفْنَيَّ لِلنَّوْمِ . وَكانَ الشَّهْرُ يَقْتَرِبُ مِنْ نِهايَتِهِ ، فَعادَ الْقَمَرُ هِلالًا كَما بَدَأَ ، وَتَناقَصَ مِنْهُ الضَّوْءُ بَعْدَ أَنِ اكْتَمَلَ ، وَلَمْ يَنْبَعِثْ مِنْهُ إِلَّا بَصِيصٌ (بَرِيقٌ) مِنَ النُّورِ .

وَجاءَ لِصَّانِ يَبْحَثانِ عَنْ سَلَّةٍ مِنْ سِلالِ الْعَسَلِ يَسْرِقانِها ، وَيَهْرُبانِ بِها مُتَسَلِّلَيْنِ فِي ظَلامِ اللَّيْلِ ، وَهُما — فِيما يَظُنَّانِ — آمِنانِ مِنْ كُلِّ سُوءٍ .

وَسَمِعْتُ أَحَدَهُما يَهْمِسُ فِي أُذُنِ صاحِبِهِ قائِلًا :

« إِنَّ سِلالَ الْعَسَلِ كَثِيرَةٌ فِي هٰذِهِ الرَّحْبَةِ ، كَما تَرَى . فَلْنَخْتَرْ أَثْقَلَها

لِنَظفَرَ بِأمْلَئِها عَسَلًا . » فقالَ لهُ الآخَرُ : « نِعْمَ ما رَأَيْتَ . »

ثُمَّ راحا يُحَرِّكانِ السِّلالَ ، واحِدَةً بَعْدَ الأُخْرَى ، حَتَّى وَصَلا إِلَى السَّلَّةِ الَّتِي كُنْتُ فِيها . فَحَرَّكاها ، فَإِذا هِيَ أَثْقَلُ سَلَّةٍ . وَلَمْ يَفْطُنا إِلَى وُجُودِي فِيها . وَما كادا يُزَحْزِحانِها حَتَّى صاحا ـ فِي نَفَسٍ واحِدٍ ـ صَيْحَةَ الظَّفَرِ (الْفَوْزِ) :

« يا لَها مِنْ صَفْقَةٍ غانِمَةٍ ! فَما رَأَيْنا أَثْقَلَ مِنْ هٰذِهِ السَّلَّةِ . وَلا رَيْبَ أَنَّ فِيها مِنَ الْعَسَلِ أَضْعافَ ما تَحْوِيهِ أَيَّةُ سَلَّةٍ أُخْرَى ! »

ثُمَّ حَمَلاها ، وَسارا بِها فِي طَرِيقِهِما إِلَى الْمَدِينَةِ مُسْرِعَيْنِ . وَصَبَرْتُ عَلَيْهِما حَتَّى جَهَدَهُما الْمَشْيُ ، وَغَلَبَهُما التَّعَبُ . وَقَدْ عَلِمَ كُلُّ مَنْ عَرَفَنِي أَنَّنِي لا أَمْقُتُ أَحَدًا أَكْثَرَ مِمَّا أَمْقُتُ اللُّصُوصَ . فَقُلْتُ لِنَفْسِي :

« الْآنَ أُلْقِي عَلَى هٰذَيْنِ اللِّصَّيْنِ دَرْسًا قاسِيًا لَنْ يَنْسَياهُ ، مَدَى الْحَياةِ . »

وانْتَهَزْتُ الْفُرْصَةَ ، فَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى رَأْسِ أَحَدِ السَّارِقَيْنِ ، فِي خِفَّةٍ وَحَذَرٍ ، وَجَذَبْتُ بِها خُصْلَةً مِنْ شَعَرِهِ .

فَصاحَ اللِّصُّ بِصاحِبِهِ مُوَلْوِلًا ، وَهُوَ يَحْسَبُهُ الْبادِئَ بِالِاعْتِداءِ عَلَيْهِ :

« وَيْ ! ماذا أَصابَكَ ، أَيُّها الْخَبِيثُ ؟ وَما بالُكَ تَشُدُّ شَعَرِي ؟ »

فَقالَ لَهُ صاحِبُهُ مُتَعَجِّبًا : « وَيْحَكَ ! ماذا تَعْنِي أَيُّها الْأَبْلَهُ ؟ لَعَلَّكَ حالِمٌ أَوْ مَعْتُوهٌ ! كَيْفَ أَشُدُّ شَعَرَكَ وَيَدايَ مَشْغُولَتانِ بِحَمْلِ السَّلَّةِ ، وَلَيْسَ فِي قُدْرَتِي أَنْ أُمْسِكَ بِهِما شَيْئًا آخَرَ غَيْرَها ! »

فَأَدْرَكْتُ أَنَّ خُطَّتِي ناجِحَةٌ . وَابْتَسَمْتُ لِما رَأَيْتُهُ مِنْ دَلائِلِ التَّوْفِيقِ . وَما كادَ اللِّصَّانِ يَسِيرانِ بِضْعَ خُطُواتٍ ، حَتَّى جَذَبْتُ شَعَرَ الْآخَرِ ، جَذْبَةً